ونتيجة أسباب، بعضها يتعلق بجيش التحرير والمنظمات الفدائية والبعض الآخر يتعلق بالدول العربية المعنية، لم تقم علاقة تكامل بين الجيش والفدائيين. واستمر كل فريق يمثل تياراً مختلفاً في بنيته ومنطلقاته. فالجيش بقي، إلى حد ما، بعيداً عن التفاعل مع الأفكار الثورية. والمقاومة لم تستطع أن تسخر، بالقدر الكافي، الطاقات الفنية والتقنية والقوة المادية للجيش لصالح الثورة.

والجدير بالملاحظة، أن الحركة الصهيونية سبق لها أن رأت الامكانات الفاعلة التي توفرها الوحدات النظامية لمستقبل صراعها مع العرب. فشجعت الانكليز على تشكيل وحدات صهيونية وتدريبها. وكانت هذه الوحدات التي اشتركت في الحرب إلى جانب الانكليز أساس القوة العسكرية الصهيونية والعمود الفقري للجيش الاسرائيلي. يقول آلون: «لا شك أن الحرب العالمية الثانية، بصورة عامة، قد زادت من قوة المجتمع اليهودي في فلسطين زيادة كبيرة. لقد اكتسب عشرات الالوف من المتطوعين اليهود في مختلف فروع القوات البريطانية المسلحة تدريباً عسكرياً قيماً وخبرة فنية طيبة... وقد جلبوا خبراتهم معهم إلى الهاغاناه، مما عاد عليها بفوائد كبرى في مراحل تالية»(١٤).

وبرغم المعوقات، فقد شارك جيش التحرير في كل المعارك الهامة التي خاضتها المقاومة. كما شارك في معارك الجيوش العربية ضد العدو الاسرائيلي. فعدا عن قوات التحرير الشعبية، التي عملت، منذ البدء، ضمن المقاومة، اشترك هذا الجيش في مقاومة مجزرة أيلول بالاردن عامي ١٩٧٠ و١٩٧١. وخاض مع الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية حرب السنتين في لبنان ٧٥ و٧٦. وعندما نشبت أزمة بين قيادته وقيادة منظمة التحرير، انحازت قوة كبيرة منه إلى المقاومة وأصبحت جزءاً من قواتها التي تخوض صراعاً مصيرياً ضد العدو الاسرائيلي.

تطور المقاومة وجيش التحرير في الحرب الثورية

منذ البيان الأول لحركة فتح، وعبر المسيرة الطويلة للكفاح المسلح الفلسطيني، مرت المقاومة الفلسطينية بالعديد من التجارب الايجابية والسلبية. وبالرغم من الصعوبات التي واجهتها في الفترة الممتدة من سنة ١٩٦٧ حتى سنة ١٩٧٠، فقد تمكنت من أن تضرب العدو الاسرائيلي بفاعلية، وأن تشن هجمات ذات مدى واسع نسبياً. وتحولت بسرعة إلى بؤرة استقطاب ثورية للجماهير العريضة.

وكان دوي الكرامة، الذي ضخمته الاسطورة بشيء من الرومنطيقية، هائلاً في العالم العربي. حتى أن الملك حسين قال، في مؤتمر صحافي في ٢٣ آذار (مارس) ١٩٦٨، «قد يأتي يوم نصبح فيه جميعاً فدائيين...»(١٥) وقد ترك كثير من الشبان أعمالهم في أماكن متعددة من العالم العربي، لينخرطوا في صفوف المقاومة بدرجة كانت أكبر من قدرة المنظمات الفدائية التنظيمية على استيعابهم، وسوف يكون لذلك تأثير خطير فيما بعد.

ومن المؤسف، حقاً، أن تتعرض المقاومة، على يد النظام الاردني، عامي ١٩٧٠